صورة المرأة في الحكاية الشعبية الجزائرية

دراسة موضوعاتية في نماذج مختارة

The image of women in the Algerian folk tale
- A thematic study in selected models -

إيمان لعثامنة[1]
جامعة 20 أوت1955-سكيكدة
i.latamna@univ-skikda.dz
مخبر التراث الأدبي الجزائري الرسمي والهامشي
احسن دواس
جامعة 20 أوت1955-سكيكدة
hassen.douas@gmail.com

تاريخ الوصول 2022/12/22 القبول 2023/05/03 النشر على الخط 2023/06/05
Received 22/12/2022 Accepted 03/05/2023 Published online 05/06/2023

ملخص:

يهدف هذا المقال إلى التأكيد على مكانة المرأة في المجتمع الجزائري مهما اختلف دورها داخل الأسرة من خلال دراسة صور ونماذج للمرأة في حكاياتنا الشعبية الجزائرية، إلى جانب شقيقها الرجل، توصلت في مجملها إلى التأكيد على الحضور الفعلي والقوي للمرأة في هذا النمط من القصص الشعبي وتحريرها من تلك النظرة السطحية العابرة التي تكاد توحي بأن هذا المجتمع لا يقدرها حق قدرها وإنه يقلل من شأنها لحساب الرجل، ويجعلها أدنى منه منزلة مستندين في ذلك إلى بعض النصوص التي يتم عزلها عن سياقها الذي تستخدم فيه والمواقف التي يصح فيها الاستشهاد بها، وتحليلها موضوعاتيا.

الكلمات المفتاحية: الحكاية الشعبية- المجتمع الجزائري- المرأة- الصورة.

Abstract:

This article aims to emphasize the status of women in society, regardless of their different role within the family, by studying images and models of women in our Algerian folk tales alongside her male brother, she founding in its entirety to emphasize the actual and strong presence of women in this type of popular stories and its liberation from that superficial, fleeting view that almost suggests that this society does not appreciate it properly and that it underestimates it for the sake of men, and makes it inferior to him, based on some texts that are isolated from the context in which they are used and the situations in which they are valid, and thematically analyzed.

Keywords:. Algerian folk – Algerian society – a woman– the image.

[1] المؤلّف المراسل: إيمان لعثامنة البريد الإلكتروني: **i.latamna@univ-skikda.dz**

1. مقدمة:

يكشف الأدب الشعبي عن خلجات الشعوب النفسية، واهتماماتهم الروحية باعتبار أنه يلعب دورا بارزا في حياة أي شعب من الشعوب تعبيرا عن واقعه وتسجيلا للأحداث الهامة من تاريخه، وتصويرا لظواهر وملامح المجتمع وتقاليده وآرائه الأصلية، فهو فضاء مفتوح على الثقافة الشعبية يغوص في أعماق التراث، ويعرض جملة من الموروثات الشعبية تشمل: الفنون المادية من مبان وأدوات وملابس... وفنون قولية غير ملموسة من أساطير ومعتقدات وعادات وتقاليد، وأمثال وطقوس وغيرها، وقد كان للنوع الثاني الأثر العظيم في الذاكرة الجماعية العربية عموما، والجزائرية خصوصا، فنجد الخطاب الحكائي (الحكاية الشعبية) أحد النصوص السردية التي تحمل الكثير من العبر والحكم بطابع التسلية، فتنشر بين الناس مغزى رسالتها، وتصور واقع حياة الشعب من عادات وأعراف وعقائد وفنون، للتعرف على طباع ونفسية الأفراد، وتحليلها وفق منهج اجتماعي، وعند محاولة استنطاقها وجدنا أنها تعج بالعديد من القضايا وتزخر بعدد وافر من الصور والدلالات لعل أكثرها بروزا **"صورة المرأة"** كشخصية رئيسية وضرورية في الحكاية كما هو الحال في الواقع.

الإشكالية: نظرا للخلط الكبير بين الحكاية الشعبية والحكاية الخرافية كان لزاما علينا كباحثين في مجال الأدب الشعبي ضبط المصطلحات للتفريق بين الأنواع الشعبية الثلاثة.

- ماهي الأدوار التي قامت بها المرأة في المجتمع الشعبي الجزائري عامة والحكاية الشعبية خاصة؟ وما الصورة التي ظهرت بها المرأة في حكاياتنا الشعبية؟ وهل تختلف صورة المرأة باختلاف الدور الذي تقوم به في المجتمع؟

الأهداف: يهدف هذا البحث إلى:

- تسليط الضوء على الدور الاجتماعي للمرأة الجزائرية داخل مجتمعها الشعبي وذلك من خلال عرض صور خيالية على لسان عامة الناس في طابع حكائي شفهي.
- عرض أهم الصفات التي تتصف بها المرأة باختلاف مراحل عمرها، والدوافع وراء ما تقوم به من خير أو شر من خلال الحكاية الشعبية.

الأهمية: تكمن أهمية الدراسة في تكريس الفنون الشعبية في التعبير عن حياة المرأة الجزائرية، والمحافظة على هذا الإرث الشعبي من الزوال ولضمان استمراريته مع الأجيال في ظل كثرة الفنون الحديثة الفصيحة.

- التعريف بالثقافات الجزائرية المتعددة في المجتمع من خلال الحكايات الشعبية التي تختلف رواياتها من منطقة لأخرى، والتي تحمل في طياتها عادات ومعتقدات متباينة تنم عن مدى التنوع الثقافي في بلد واحد.

المنهج: لما كانت الدراسات العلمية الأكاديمية ذات الطابع العلمي لا تقوم إلا على منهج معين، باعتباره المنارة التي تأخذ على عاتقها السير بالبحوث نحو التنظيم المنهجي المحكم استعنا بالمنهج "الموضوعاتي" في عملية نسج خيوط هذا البحث، بحكم أننا

انطلقنا من تنظيرات الباحثين في مجال الحكاية الشعبية، مرورا بالبحث عن ثيمة المرأة، وصولا إلى تطبيق هذه الثيمة على جنس الحكاية الشعبية، وبالتحديد الجزائرية.

2. مفهوم الحكاية الشعبية:

تعددت الآراء واختلفت وجهات النظر حول تحديد مفهوم الحكاية الشعبية، مما أدى إلى تعدد وتنوع المفاهيم والتعاريف لدى الباحثين والدارسين في هذا المجال، إذ اعتبرت أعمال الأخوين جريم بأنها واضعة الأساس لدراسة الخرافات والقصص الشعبية، وقد جعل هذان الأخوان من الحكاية زادا لا للشعب الألماني فحسب، بل للعالم كله، فدراسة الحكاية الشعبية في مجتمع معين ماهي إلا دراسة تراثه والرجوع إلى الماضي السعيد أو الحزين والحياة الشعبية التي حياها الشعب أيضا[1]

فتتخذ الحكاية الشعبية مادتها من عناصر مستمدة من الواقع، بل ومن مراحل تاريخية وحضارية وثقافية مختلفة لأنها سجل حافل بمعتقدات الشعب وعاداته فتحاكي الواقع لتصف أحداث وتقاليد الجماعة، أو قد تجرد الأحداث وتعطيها صبغة خيالية أو بتضارب الأحداث وتناقضها.[2]

تعرّفها الباحثة "**نبيلة إبراهيم**" **الحكاية الشعبية** نقلًا عن المراجع الألمانية بأنها: «الخبر الذي يتصل بحدث قديم ينتقل عن طريق الرواية الشفوية من جيل لآخر، أو هي خلق حر للخيال الشعبي ينسجه حول حوادث مهمة وشخوص ومواقع تاريخية»[3]

ويعرفها "**يوسف نجم**" بأنها: «مجموعة من الأحداث يرويها الكاتب... وهي تتناول حادثة واحدة أو حوادث عدة تتعلق بشخصيات إنسانية مختلفة تتباين أساليب عيشها وتصرفها في الحياة، على غرار ما تتباين حياة الناس على وجه الأرض، ويكون نصيبها في القصة متفاوتا من حيث التأثير والتأثر»[4]

فالحكاية الشعبية تعبير موضوعي واقعي غير منقطع عن الزمان والمكان، تجري في واقع تاريخي فعلي وبطابع جدي، تتحدد أهم خصائصها في الوعي بمفارقات الحياة الواقعية، والارتباط بها، وإعادة تشخيص المواقف المجهولة وغرابة الواقع الحسي المألوف، ونقد سلبيات المجتمع، بهدف إصلاحه، والاضطلاع بوظيفة تعليمية ترسخ القيم الأصلية بين الجماعات الشعبية وتدافع عنها، ومن هنا يؤخذ هذا النوع من القصص الشعبي مأخذ الحقيقة والجد.[5]

---

[1] رشيد وديجي، الحكاية الشعبية في البنية و الدلالة، الثقافة الشعبية للدراسات والبحوث والنشر، مج11، ع 40، 2018/01/13، ص 32 .

[2] فاطمة زهرة قاسم، صورة المرأة في الحكاية الشعبية لمنطقة وهران، دراسة سيميائية، رسالة ماجستير (الأدب الشعبي) جامعة أحمد بن بلة–وهران، الجزائر، 2012–2013، ص أ. المرجع نفسه، ص99.

[3] نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار المعارف، ط3، القاهرة–مصر، 1981، ص133–134.

[4] يوسف محمد نجم، فن القصة، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1955، ص7.

[5] علي محمد احمد العبيدي، الحكاية الشعبية الموصلية بين وحدة التجنيس وتعدد الأنماط، مجلة دراسات موصلية، ع26، شعبان– أوت، 1430–2009، ص75.

أما الحكاية الخرافية فهي القصة الكاذبة التي لا يقبلها العقل ويشمل أيضا ذلك التشويه الخيالي لشخصية حقيقية ماثلة في أذهان الناس.[1] تتحدد مميزاتها في شدة قصرها المطرد، وفي بساطة بنائها المهيكل على أساسين اثنين؛ تعرض في الأول الحادثة المجسدة للمغزى، ويركز في الثاني الموقف الأخلاقي المباشر، كما أن أبطالها غالبًا ما يكونون بلا أسماء وعددهم قليل،[2]وهي بهذا نوع سردي شعبي آخر، مختلف عن الحكاية الشعبية، حيث يتمركز الاهتمام حول الطبيعة بكل مكوناتها، وعلى السحر، والمجهولية، في زمن غير محدد يجعلنا جاهلين بالحدود التاريخية للأحداث، حيث يزيل الذهن كل الأبعاد الزمانية، ويجعل الحكاية كأنها حدثت في اللازمان، أي كأنها لم تحدث وإنما هي واقعة نفسية (كالحلم)، فيتصف فيها الزمن بكثرة الاختزال، والحذف، والاستباق، غايتها تعليمية.[3]

3- المرأة في الحكاية الشعبية الجزائرية:

احتل موضوع المرأة حيزا كبيرا في فكر الأمم القديم والحديث، ولا غرابة في ذلك، فالمرأة هي الدعامة الثانية التي تقوم عليها حياة البشر، وقد عوملت على مر العصور والحضارات بكثير من الاضطهاد والظلم سواء عند العرب وغيرهم من المجتمعات، فإذا ألقينا نظرة على تاريخ العرب قبل الإسلام نجد أنهم لم يعاملوا المرأة بأحسن من الحضارات غير العربية، إذ اعتبرت شيئا يُباع ويشترى، يسبى ويُقتنى بأثمان متفاوتة تحدد حسب جمال المرأة وصباها ومواهبها فأُنشأت لذلك أسواقٌ للجواري والإماء تملأ أبلطة القصور والقلاع.[4]

والمرأة بوصفها شخصية رئيسية وضرورية في الواقع المعيش، فقد كان لها نفس الدور والقيمة في ميادين الأدب عامة، وفن الحكاية الشعبية خاصة التي تعد أحد الفروع الشعبية التي عكست قدرة المرأة على تجسيد فاعليتها إلى جانب الرجل، وعند محاولة استنطاقنا للحكاية الشعبية من مختلف مناطق الجزائر وجدنا أنها تعج بمختلف الصفات المرتبطة بالمرأة، والتي انقسمت إلى قسمين هما: المرأة الطيبة والمرأة الشريرة، حسب مراحل تطور حياتها عبر الزمن، فتكون في البداية بنتا، ثم زوجة ثم أما، وتكبر حتى تصبح حماة أو عمة وخالة ثم جدة...

1.3 : صورة الأم:

جاءت الأم في الحكاية الشعبية الجزائرية على مستويين: المحبة والشريرة، لكن من المتعارف عليه أن الصورة الطبيعية للأم في الحياة الواقعية هي الأم المحبة، مشدودة إلى أبنائها ذكورا وإناثا برابط الأمومة العضوي الأبدي.[5]

فهذه حكاية "**بقرة اليتامى**" تعطينا صورة جلية للأم التي تحمي أبناءها لآخر نفس في حياتها، وحتى بعد موتها «فصور النص السردي كيف نمت فوق قبر الأم أثداء البقرة التي تركتها لولديها لتفيض سمنا وعسلا من أجل تغذية طفليها الجائعين، ومن جهة أخرى وصف حب زوجة الأب لابنتها، ورغبتها في أن تكون أحسن من أبناء زوجها، وقد برزت هذه العاطفة لما تعرضت ابنتها

[1] عبد الله عزيز توفيق، الحكاية الشعبية، دار زهران للنشر والتوزيع، ط1، المملكة الهاشمية الأردنية، 2012، ص13-14.

[2] علي محمد احمد العبيدي، الحكاية الشعبية الموصلية بين وحدة التجنيس وتعدد الأنماط، ص75.

[3] المرجع نفسه، ص81.

[4] ينظر، فاطمة زهرة قاسم، صورة المرأة في الحكاية الشعبية لمنطقة وهران، ص88-89.

[5] محمد دوابشة وإيمان فشافشة، المرأة في الحكاية الشعبية الفلسطينية، مجلة الجامعة العربية الأمريكية للبحوث، جنين، مج1، ع1، 2014/01/01، ص68.

للأذية من البقرة زاد حقدها على اليتيمين وبقرتهما... حتى وصل بها الأمر إلى الرغبة في أكل لحم ربيبتها حتى تمكن ابنتها من الفوز بالسلطان والعيش في قصره، وكانت نهايتها لما أدركت أن اللحم كان لقرة عينها الوحيدة»[1]

ومن الحكايات التراثية الجزائرية في مناطق "الشاوية" (قبائل بالشرق الجزائري) حكاية "عياش أممي" «التي تروي عن امرأة أحبت ابن عمها حبا شديدا كُلّل بالزواج، لكن لسوء حظها لم يلبث أن توفي تاركا إياها غارقة في أحزانها ودموعها، ووسط هذا الحزن بشرتها داية القرية بحملها، فابتهجت أنها تحمل ثمرة حبها وعندما وضعت طفلها أسمته عياش اعتقادا بطول حياته، لكن قائد القرية أحبها وطلبها للزواج مرارا وتكرارا، وكانت تقابله بالرفض بحجة التفرغ لتربية ابنها، مما زاد عناد القائد فقرر التخلص من الطفل ظنا منه أنه سيفوز بالأم، لكن الأم لم تتحمل الصدمة وفقدت عقلها لشدة تعلقها بفلذة كبدها، وثمرة حبها فكانت تذهب عند قبره وتغني له وتقول: عياش أممي... إلى أن ماتت بجانبه»[2]

تحافظ الأم في المجتمع الجزائري على ابنتها وتخاف عليها وتصونها حتى تكبر، حتى وإن تزوجت فإنها تبقى في حمايتها، وهذا ما تصوره حكاية "**ودعة وإخوتها السبعة**"؛ فعاطفة الأمومة دفعت الأم أن تخفي عن ابنتها حقيقة وجود سبعة إخوة رجال، كانوا قد رحلوا سابقا عند ولادتها... وبعدما تخبرها الحقيقة، وتقرر البنت البحث عن إخوتها تعمل الأم جاهدة على منعها خوفا عليها، لكنها تسمح لها فيما بعد شرط أن يكون لها رفيق يطمئنها على حالها، فأعطتها المنجل ليكون مساعدا لها يدلها على الطريق.[3] وهو ما يدل على الحب الفياض من الأم تجاه ابنتها، وخوفها من فقدانها كما فقدت أبناءها من قبل، وهي الصورة ذاتها التي جاءتنا بها حكاية "**غول خشب الغابة**" حينما قامت الأم بمنع ابنتها من الخروج من البيت لأنها تعلم أن مكروها سيصيبها وهذا من غريزة الأمومة.[4]

«لكن هذه الصورة النمطية لا تخلو من استثناءات وحالات شاذة، فنجد في ثنايا الحكايات الشعبية الجزائرية بعض الحالات وقفت الأم فيها موقفا متعارضا مع طبيعتها»[5]، حيث يتجرد قلب الأم من كل حنان وحب، بل من عاطفة الأمومة التي يجب أن تشعر بها الأم تجاه وليدها، ففي حكاية "**سميميع بن لحنش**"كانت الأم تحب طفلها كثيرا، وتعتني به ولم تتخل عنه حينما أحست بالخطر المحدق من الجارة الغولة، فحملته وانتبذت به مكانا بعيدا... لتضطر بعدها إلى الزواج من الثعبان لتوفر الأمان لها ولولدها الصغير، ولكن عندما يكبر الولد ويشتد عوده تظهر عليه علامات الغباء والسذاجة، مثل أبيه، مما جعل الأم ترى في تصرفاته كلها

[1] ينظر، عبد الحميد بورايو، حكايات شعبية جزائرية حول المرأة، فنك للكتب، دار الوطن اليوم، سطيف (الجزائر)، 2019، ص31-41.

[2] أحلام فايدي، حكايات زمان مع بنت السلطان، www.youtube.com/@bent-sultan09 (2023/01/24)، 2023/04/04، 00:54.

[3] ينظر، بوعزة طيبي، الحكاية الشعبية في الجزائر، تحليل مورفولوجي لحكاية "ودعة مشتة السبعة" مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، مركز جيل البحث، مج4، ع 34، أكتوبر 2017، ص 89.

[4] ينظر، عبد الحميد بورايو، حكايات شعبية جزائرية حول المرأة، ص20-24.

[5] محمد دوابشة وإيمان فشافشة، المرأة في الحكاية الشعبية الفلسطينية، ص68.

صورة زوجها السابق، ليتحول حب الأم إلى كره تجاه ابنها، الأمر الذي أعمى بصيرتها وقتل عاطفة الأمومة لديها وجعلها تفكر في قتل ابنها وكأنها بذلك تنتقم لزوجها، وتشفي غليلها منه.[1]

تؤكد هذه النماذج على الصورة العامة للأم في المجتمع الجزائري، فمن المعروف منذ القدم أن الأمهات تفرحن عند إنجاب الأولاد فتقمن ببعض الطقوس لاعتقاد حمايتهم «فنجد الأم الجزائرية ترش الملح بغرض إبعاد العين الشريرة والحاسدة عن مولودها،كما تقمن بربط سرة من البذور أو التوابل حول معصم رضيعها لنفس الغرض، كما تقيم المرأة الجزائرية احتفالات تعبر عن فرحتها بقدوم مولودها مثل السبوع والعقيقة، والختان وغيرها...»[2]

2.3 صورة الأخت:

تبرز العلاقة الأخوية في الحكاية الشعبية بصورتين: إيجابية وسلبية، وهذا ينطبق على الأخت ولكن على الرغم من سلبيتها أحيانا إلا أن جانبها الإيجابي يطفو على السطح، فتُظهِر الحكايات العلاقة الودية بين الأخت والأخ، وبالذات إذا كانت الأم متوفاة مثل حكاية "بقرة اليتامى"[3] «فالأخت "عائشة" تحاول حماية أخيها "علي" بكل ما أوتيت من قوة، ومن صور هذا الحب أنها لم تتركه وحيدا في محنته حينما تحول إلى غزال، وتتقاسم معه نصيبها من الطعام، يرافقها أينما حلت، واشترطت كذلك ذهابه معها إلى قصر السلطان وعدم أذيته، إضافة إلى ما قامت به هذه الأخت في سبيل إنقاذ أخيها وإعادته إلى صورته البشرية، وبهذا تتجلى الصورة المشعة للأخت الحنون تجاه أخيها الصغير»[4]

وفي حكاية "راجلي عندي كي سميد وخويا كي الملح" تصوير آخر للعلاقة الأخوية الطيبة بين الأخت وأخيها الذي ظل يرعاها بعد وفاة أبويهما ولما وصلت سن الزواج قام بتزويجها لشخص بعيد وكان يزورها بين الفينة والأخرى، وفي مرة من المرات قالت له: "راجلي عندي كي السميد وأنت ليا كي الملح" فاغتاظ الأخ وانقطع عن أخته فترة، لكن حبه وشوقه لها جعله يعود لزيارتها، فأرادت الأخت أن تشرح له معنى كلامها فطبخت له طعاما بدون ملح لم يستطع أكله، فما كان منها إلا أن أخبرته أن هذا هو طعم الحياة بدونه مثل الملح تماما عندها أدرك خطأه.[5] وفي هذا تصوير لمدى حاجة الإخوة لبعضهم البعض تماما كحاجة الطعام للملح حتى يكون له طعم.

أما «ودعة فقد قطعت الجبال والسهول لأجل إخوتها السبعة، لتعيد لمّ الشمل بعدما تفرقوا عنها ولم ترهم طيلة حياتها وفور علمها بما حصل لم تتريث في حمل نفسها تجوب الأمصار بحثا عنهم، و لكن فرحتها لم تكتمل، حيث عادت لتبتعد عنهم فترة من الزمن

---

[1] فاطمة بورغدة، عزابة (سكيكدة)، 92سنة، (ربة بيت)، 2023/04/01، 21:00.

[2] ينظر، أمال عيساوي، عائلات تحتفل بمواليدها الجدد على طريقة الأعراس، جريدة المشوار السياسي، 2014/09/12، www.djazairess.com 2023/04/04، 13:45.

[3] محمد دوابشة وإيمان فشافشة، المرأة في الحكاية الشعبية الفلسطينية، ص69.

[4] ينظر، عبد الحميد بورايو، حكايات شعبية جزائرية حول المرأة، ص31-41.

[5] أحلام فايدي، حكايات زمان مع بنت السلطان، www.youtube.com/@bent-sultan09 (2023/02/22)، 2023/04/04، 01:15.

نتيجة لسوء تفاهم وخجلا من إخوتها حين اتهمت في عرضها من قبل زوجات الإخوة... وبعد ظهور الحقيقة اجتمعت بإخوتها للأبد» [1] ويؤكد هذه العلاقة المثل الشعبي القائل: "الخو ما يولي عدو"[2] أي أنه مهما بدر من الأخ تجاه أخيه، فهو في النهاية تربطه به رابطة الأخوة والدم، ولن ينساه أبدا.

على خلاف العلاقة الطيبة بين الأخت وأخيها الولد، تقابلنا العلاقة المتوترة بين الأختين، وخاصة إن كانت الأخت غير شقيقة فقد تدفعها الغيرة بكل أشكالها، سواء من ناحية الجمال، أو الجاه والسلطان إلى الانتقام ومحاولة التخلص من الأخت الطيبة، وهو ما حدث مع "عائشة" اليتيمة وشقيقتها الشريرة التي كانت تغار منها فتعمل على إيذائها بكل الطرق، وآخر ما تقوم به من أعمال الشر هو الإلقاء بها داخل البئر للتخلص منها، وتصبح أميرة مكانها.[3]

وفي بعض الأحيان يكون الاختلاف حتى بين الأختين الشقيقتين من ناحية السلوك، فنجد أن إحدى الأخوات طيبة تحب الخير والأخرى شريرة أنانية لا تحب إلا نفسها فقط، تنتشر مثل هذه الأنماط كثيرا في البيوت الجزائرية، ومثالا عن ذلك ما يرويه التراث الشعبي الشفهي العاصمي «عن أختين كانتا تسكنان أحد قصور "القصبة" إحداهما متزوجة طائعة لربها، والأخرى شابة عزباء طائشة محبة للحياة تدعى "المعكرة"[4]، وفي مرة من المرات كانت المتزوجة تطبخ رأس الخروف الذي يسمى باللهجة الجزائرية "البوزلوف" ولسوء الحظ كانت هناك جارة في فترة الوحم فاشتهت الرائحة المنبعثة من بيت جيرانها، قالت في نفسها سأذهب وأطلب فتيلة من النار لعلي أشم الرائحة عن قرب فأشبع، وبقيت على هذه الحال سبع مرات، تفطنت الأخت الصغيرة وأسرعت لتعرف السر، ولما أخبرتها الجارة عادت لأختها تطلبها شيئا من الطعام فرفضت، فكرت الأخت مليا ثم قالت أعطنيه مقابل نصيبي من المنزل فرحت الأخت البخيلة وقبلت، ولما جاء الصباح ذهبت الأخت لأختها تطلب منها الخروج من البيت الذي صار ملكا لها وجدت أختها ملقاة على الأرض مغسلة ومكفنة، تنبعث منها رائحة طيبة، ويقال أنه لم يستطع أحد إخراجها من الغرفة فدفنت هناك، حتى أن القصر لا يزال مزارا لسكان العاصمة»[5] فنستخلص من هذه الحكاية الشعبية أنه ليس كل متعبد ناسك طيب النفس، وليس كل بعيد عن الطاعة شرير النفس، وأن من يفوز هو صاحب الخير والنية الطيبة.

كما أن الأخ في المجتمع الجزائري يعتبر أخته هي شرفه وعرضه ولا يرحم من يعتدي أو يضر بها ويفعل المستحيل لأجل سعادتها وحمايتها، ومن صور هذا الحب ما جاء في حكاية "**لونجة بنت الغول**"[6] وفي رواية أخرى "**غول خشب الغابة**" حين اختطف الغول الغول الأخت فأمرت الأم أولادها بالذهاب لإنقاذ أختهم من قبضة الغول مكلفة كلا منهم بمهمة لإنجاح الخطة، يقول النص

---

[1] ينظر، بوعزة طيبي، الحكاية الشعبية في الجزائر، تحليل مورفولوجي لحكاية "ودعة مشتة السبعة"، ص89.

[2] من الذاكرة الشعبية لمناطق الشرق الجزائري.

[3] ينظر، عبد الحميد بورايو، حكايات شعبية جزائرية حول المرأة، ص31-41.

[4] نسبة للعكار الأحمر، وهو نوع من التوابل، سميت به الفتاة لأنها كانت تتزين باللون الأحمر في شعرها ويديها بالحناء كثيرا.

[5] أحلام فايدي، حكايات زمان مع بنت السلطان، www.youtube.com/@bent-sultan09 (2023/01/18)، 2023/04/04، 02:30.

[6] ينظر، عبد الحميد بورايو، حكايات شعبية جزائرية حول المرأة، ص42-49.

السردي: «... تقدم الولد القادر على تخطي أسوار الحديد السبعة وحمل إخوته ودخل بهم قصر غول الغابة، التقوا أختهم ففرحت بهم غير أنها ارتعبت خوفا عليهم، وقالت لهم سيعود الغول من الغابة ليلا وإذا ما علم بوجودهم سوف يفترسهم... قالوا لها لا تخافي فقد هيئنا خطة لهربك منه، ولما أقبل الليل ونام الغول قام الولد الذي يستطيع أن يتسمع قطرات الندى بتنبيه إخوته إلى استغراق الغول في النوم فبادروا إلى غرفة نومه، تقدم سلاك الحرير من السدراية حاملا إبرة وفك بها شعر أخته من أسنان الغول، وقام من يستطيع أخذ البيض من عش الحجلة دون أن تستيقظ بحمل أخته من سرير الغول وخرجوا بها، عبر بهم كبيرهم أسوار الحديد السبعة، وخرجوا من القصر، وما إن قطعوا مسافة حتى استيقظ الغول وتعقبهم طائر في السماء رآه قادر على الرؤية في الظلام فوجه نحوه ضارب النشاب سلاحه فأرداه قتيلا...»[1] نشاهد مدى الحب المتبادل بين الإخوة وأختهم، وخوفها عليهم من الغول، إلا أنهم قاموا بالمهمة الصعبة على أكمل وجه، فتظهر الحكاية قيمة الاتحاد في تخطي العقبات، والوصول إلى الأهداف في سبيل من نحب.

ومهما يكن فإن العلاقة الأخوية تبقى أجلّ العلاقات الأخرى، مرتبطة بالمحبة والتعاون والتماسك لأن منشأ هذه العلاقة العادات والتقاليد والأعراف المتوارثة التي يحكمها الدين الإسلامي المشبع بقيم الحب والألفة، والحكايات الشعبية بدورها جاءت موافقة لتلك الظروف والأعراف وتناولت هذه العلاقة وبينت طبيعتها، موضحة أن صورة الأخت دائما إيجابية تجاه إخوتها، في حين تشوبها بعض التصرفات بين الأخوات من نفس الجنس مثل: الغيرة خاصة بين الأخوات غير الشقيقات التي تنتقل من زوجة الأب إلى أبنائها.

3.3 صورة المرأة الزوجة:

لم يكن للزوجة عند العرب القدامى حرية الانتقال وحرية التعلم وحرية فعل ما تشاء، فهي كلها عورة وعليها الطاعة الشاملة الكاملة، ولو أمرها زوجها ألا تغادر المنزل حتى لزيارة أبويها وجب أن تمتثل لاعتقاد العرب القدامى أن المرأة مملوكة ولديهم الحق أن يفعلوا بها ما يشاءون ولم يكونوا يرونها إلا آلة للمتعة والزواج والإنجاب وقضاء حوائج البيت.

لكن بمجيء الإسلام أعطى للمرأة حقوقها وبيّن لها واجباتها، وحدودها في مجتمعها وعائلتها، فالحياة تقوم على أساس العلاقة بين الرجل والمرأة، والتي ينبغي أن تسودها المودة والرحمة ميثاقا لقوله تعالى: ﴿وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ سورة الروم- الآية 21، وهما الرابطة التي تجعل الحياة مستمرة، فهذا الانجذاب الذي يحدث بين الرجل والمرأة يساعدهما على بناء علاقة زوجية وأسرة، أساسها الحب وفروعها الاحترام المتبادل والثقة، فالمرأة حين تصبح زوجة تدخل عالما جديدا مليئا بالمسؤوليات «لأن دورها يبدأ أولا من أسرتها التي هي جزء من المجتمع واتجاهها نحو الزوج والأبناء وأفراد العائلة لتصل إلى الميدان الخارجي»[2] فتتغير طرق تفكيرها وتنسى عاداتها القديمة، لأن حياتها ستتحول إلى خدمة بيتها، وزوجها وأولادها، بل ومن خلالها فقط ينسى الزوج متاعب يومه، ويستطيع أبنائها السير قدما في الحياة، فهي الدَّرج الأول الذي يرتقي به أولادها للتطلع إلى المستقبل.

[1] المرجع نفسه، ص23-24.

[2] بهيجة بن عمار، صورة المرأة في النكتة الشعبية الجزائرية-منطقة تلمسان أنموذجا (رسالة ماجستير) قسم التاريخ وعلم الآثار-شعبة الثقافة الشعبية، جامعة أبي بكر بلقايد-تلمسان-الجزائر، 2011-2012، ص68.

فعاطفة الحب بين الزوجين نجدها عند جميع الثقافات، فهو سمة من سمات البشرية، وتراثنا الجزائري مليء بالحكايات الشعبية الخالدة التي لم تخلف هذه الصورة إلى جانب صورة الأم والأخت، فالأم ماهي إلا زوجة والأخت ستكبر وتصبح زوجة ومن الحكايات التي صورت الحب الحقيقي قصة "**ودعة وإخوتها السبعة**"[1] ففي البداية كانت ودعة بنتا وأختا ثم بعد زواجها أصبحت زوجة، وبعدها أما –وهي دورة حياة المرأة– فعلاقة ودعة بزوجها كان يسودها الاحترام والحب والتفاهم، لم تتركه وتذهب للبحث عن إخوتها وإنما بقيت مع زوجها وأنجبت طفلها، مثالا للزوجة الصالحة المحافظة على بيتها، وهي الزوجة التي يرغب جميع الرجال في الحصول عليها من أجل أن تظل سيرتها طيبة بمرور الزمن تعاقب الأجيال، ومن النساء الجزائريات اللاتي خلدهن التراث الحكائي الشفهي، ولازلن مقدسات إلى يومنا هذا تشهد عليهن بعض المعالم، تلك المرأة اليتيمة المدعوة **"بالكواشية"** في منطقة الشرق الجزائري، وبالتحديد ولاية أم البواقي "التي كانت طيبة جدا من صغرها تكفل بها شيخ القرية، وكانت ترعى الأغنام كغيرها من نساء المنطقة، وفي يوم من الأيام وهي ترعى غنمها أخذتها غفوة ولما استيقظت لم تجدها فأخذت تبكي وتدعوا الله، وفي تلك اللحظة حدثت معجزة، حيث انقسم الجبل إلى جزأين ورأت أغنامها–ولا يزال إلى اليوم ذلك الجبل المسمى جبل قريون– عُرفت بعدها بأنها من أولياء الله الصالحين فتهافت على طلبها رجال كثر، وكان عليها أن تختار أحدهم، وكان شرطها أن يكون نسب ذريتها على اسمها حتى يبقى أثرها، ويسمون إلى اليوم "الكواوشة" وضريحها موجود قرب جبل القريون ولاية أم البواقي.[2]

وفي الغرب الجزائري بالتحديد في ولاية تلمسان يروي التراث عن "لالة مغنية" التي تسمى على اسمها مدينة مغنية، كانت ابنة شيخ زاوية وحاكما للقبيلة، شبت على تعاليم الدين الإسلامي، ترددت مع والدها على بيت الله الحرام منذ صغرها وسميت بالحاجة مغنية، ولما كبرت خاضت حربا ضد أمير فاس الذي طلبها للزواج ورفضته، وتزوجت من راعي أحبته وعاشت معه حتى توفي، وبعد سنوات توفيت هي أيضا ودفنت بجانبه، وبقي ضريحها مزارا لمحبيها، وأسميت المنطقة على اسمها لأنها كانت امرأة طيبة تقية.[3]

ومن الصور التي حملها التراث الشعبي الصحراوي عن المرأة الجزائرية المحبة لزوجها والوفية، حكاية "زهور وخليفة" في ولاية الوادي، والتي غناها فيما بعد الفنان "عبد الله المناعي" تخليدا للقصة التي تصف مدى الحب العذري بين امرأة ورجل أحبا بعضهما، لكن فرقتهما الأعراف والعداوات ما بين القبائل، فبعد مشقة طويلة للحصول على زهور خطفه أبناء عمها وربطوه في الصحراء بلا ماء ولا طعام، ولما عرفت مكانه انطلقت منقذة له، وبعدما ظنت أن كل شيء انتهى وأقيم الزفاف وفي ليلة الحنة داهم العسكر الفرنسي منزل خليفة بتحريض كاذب من أبناء عم زهور فأُخذ وعُذِّب إلى أن مات وماتت بعده زمن قصير بعدما فقدت عقلها.[4]

كما رصد التراث الصحراوي حكاية أخرى للحب العذري بين "حيزية وابن عمها سعيد" في ولاية بسكرة، التي رفضت كل الخطاب، وأبت إلا أن تتزوج ابن عمها سعيد، لكنها توفيت بعد زواجهما بوقت يسير، فأخذ سعيد يهيم على وجهه في الصحراء

---

[1] ينظر، بوعزة طيبي، الحكاية الشعبية في الجزائر، تحليل مورفولوجي لحكاية "ودعة مشتة السبعة"، ص89.

[2] أسماء يعقوبي، عين البيضاء (ولاية أم البواقي)، 30سنة، (ربة بيت)، 2023/04/02، 22:40.

[3] أحلام فايدي، حكايات زمان مع بنت السلطان، www.youtube.com/@bent-sultan09 (2023/02/18)، 2023/04/05، 13:30.

[4] المرجع نفسه، www.youtube.com/@bent-sultan09 (2023/02/13)، 2023/04/05، 14:30.

حتى التقى الشاعر الشعبي "ابن قيطون" فطلب منه أن ينظم في حقها أبياتا خلدها التراث الشفهي عبر سنين منذ سنة (1978) والتي عنوانها "حيزية"، يقول في مطلعها: [1]

عزوني يا لملاح في رايس لبـــنات..... سكنت تحت اللحود ناري مقديا

ياخي أنا ضرير بيا ما بيـــــــــا..... قلبي سافر مع الضامر حيزية

يا حسراه على قبيل كنا في تاويل..... كي نوار لعطيل شاو النقيضا

ومن جانب آخر ترغب الزوجة دوما في امتلاك زوجها لنفسها وتغار عليه من أي شخص آخر حتى لو كان هذا الشخص أبناءه من زوجة أخرى، فهاهي الزوجة الثانية في حكاية (**بقرة اليتامى**) تحاول بشتى الطرق الاستفراد بزوجها والتخلص من أبناء ضرتها المتوفاة والرحيل مع زوجها إلى مكان مجهول.[2]

ويروي التراث الشعبي في الغرب الجزائري عن امرأة تدعى "لالة بدرة" ابنة أحد بايات وهران، وزوجة الباي الحسن آخر بايات وهران التي كانت مثالا للزوجة الشجاعة التي تهتم بأمور رعيتها على عكس زوجها، فكانت تتنكر في زي رجل وتخرج لتفقد أحوال الشعب، ووسط هذا كانت كذلك تهتم ببيتها وتغار على زوجها من النساء، حتى أنها في إحدى المرات سمعت أن زوجها اشترى جارية، فدخلت عليهما وقتلتها، الأمر الذي جعل زوجها يهابها ويعطيها قيمة واستقلالية في الوقت الذي كانت المرأة مجرد تابعة ومحرومة من حقوقها.[3]

4.3 صورة زوجة الأب:

يُندر أن نجد في المجتمع الجزائري من يحمل في ذهنه صورة مشرقة عن زوجة الأب، وكأنه أصبح إرثا عالميا فهي عادة ما تتصف بالمكر والدهاء، والقسوة، فضلا عن الغيرة التي تتملكها من امرأة أخرى، فهاهي زوجة الأب في حكاية (بقرة اليتامى) تغار من ربائبها فبعد أن « كانت في بداية الحكاية تلعب دور الزوجة الثانية، فهي بعد تخلصها من ضرتها انفردت بمكانتها عند زوجها، وصار لزاما عليها أن تمارس دورها مع أولاد زوجها في صورة زوجة الأب، التي تضمر الحقد الشديد لأبناء ضرتها المتوفاة، ونجد هذه الظاهرة في مجتمعنا الجزائري والعربي بل وحتى العالمي»[4]

تردد بعض زوجات الأب المثل القائل: "الضرة ولا عروقها"[5]وذلك لتغيظ به أبناء ضرتها المتوفاة، ومعناه أن وجود الضرة أخف ضررا من أن تكون قد تركت بعد موتها أولادا يمثلون امتدادا واستمرارا لبقائها، فزوجة الأب في "بقرة اليتامى" تستمر في الاحتيال حتى

---

[1] وصال عمر، الجزائر العاصمة، 22 سنة، (طالبة بالمدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية)، 2022/04/05، 22:31.

[2] ينظر، عبد الحميد بورايو، حكايات شعبية جزائرية حول المرأة، ص31-41.

[3] أحلام فايدي، حكايات زمان مع بنت السلطان، www.youtube.com/@bent-sultan09 (2023/02/25)، 2023/04/05، 10:30.

[4] سميحة شفرور، الحكاية الخرافية الشعبية في منطقة تبسة-جمع ودراسة، رسالة ماجستير (تخصص الأدب الشعبي)، جامعة منتوري- قسنطينة- الجزائر، 2008-2009، ص70.

[5] ليلى أمال حيرش بغداد، فايزة اسعد زرهوني، صورة المرأة في الأمثال الشعبية المستغانمية، مجلة الحوار الثقافي، مج6، ع1، 2017/03/15، ص4.

تتخلص من أبناء زوجها وترحل تاركة إياهما وحيدين بعدما تكلفهما بشيء يستحيل فعله، "حيث طلبت من الولد ملء الغربال بالماء، وأعطت للبنت جزتين من الصوف وطلبت منها غسلهما حتى تصبح السوداء بيضاء والبيضاء سوداء"[1] وهو ضرب من الخيال ما ينم إلا من حقد وغل كبيرين تجاه أبناء الزوج، ولا تكتفي بذلك فتحاول أن تورث هذا الحقد لابنتها تجاه أخويها غير الشقيقين.

أما زوجة أب الفتاة **ودعة** فقد كانت السبب الرئيسي في رحيل إخوتها حين طلبوا من زوجة أبيهم أن ترسل لهم إشارة بالمغازل إن أنجبت أمهم بنتا والإشارة بالمناجل إن كان المولود صبيا في قولهم «كي تسلك أمنا وتجيب طفلة شوريلنا بالمغزل نغزلوا ولكان طفل شوريلنا بالمناجل ننجلاو»، إلا أن زوجة الأب من غيظها لأن الأم أنجبت بنتا أشارت لهم بالمنجل، فحمل الإخوة أنفسهم ورحلوا تاركين والديهم وأختهم التي لم يعرفوا عنها شيئا.[2]

5.3 صورة زوجة الابن (الكنة) والحماة، وأخت الزوج (السلفة):

تتميز العلاقة بين "السلفة"-أخت الزوج في الجزائر- وزوجة الأخ عادة في المجتمع الجزائري بأنها تسودها الحساسية والغيرة وعدم التفاهم فيما بينهما خاصة إن كانت الأخت غير متزوجة أو جميلة، وكان الأخ يحبها ويفضلها في كل شيء فإن ذلك سيخلق مشاكل دون شك، وقد تسعى زوجة الأخ لخلق جو من التفاهم ليس حبا في أخت زوجها وإنما محاولة أن تظهر ثوب الملاك أو الضحية، وهذه الصور كثيرة جدا في العلاقات داخل الأسر الجزائرية، وتردد النسوة المثل القائل: "السلفة حلفة"[3] ولعل أبرز الحكايات الشعبية المأخوذة من الواقع الجزائري وتعبر عنه، حكاية **"ودعة"** التي كانت قريبة من إخوتها، مما أشعل نار الغيرة في قلوب الزوجات، ورغبن في التخلص منها وخلق كراهية بينها وبين إخوتها دون تفكير في العواقب الوخيمة حين ينكشف المستور وتظهر الحقيقة، فرحن يكدن للسلفة المسكينة واتهمنها في شرفها زورا بعدما أقنعنها بابتلاع بيضات الأفاعي، التي فقصت بعد فترة في بطن البنت، وبدا الأمر كأنه حقيقي و بأن الفتاة باعت عرض العائلة بأرخص الأثمان وجلبت لهم العار... «ولكن الشرير في نهاية الأمر دائما يكافأ بما أجرم»[4]

يشكل الزواج نقلة نوعية للأم "الحماة" وللفتاة "الكنة"، وغالبا ما يكون هناك صراع ما بين الطرفين وهذه الظاهرة موجودة بالفعل في مجتمعنا الجزائري وفي المجتمعات الأخرى من أقدم العصور، حتى أنه من الأمثال الشعبية الجزائرية المثل القائل: "إذا تفاهمت العجوز والكنة حتى الشيطان يدخل للجنة"[5]، ويمكن إعادة هذا العداء إلى غريزة الأمومة التي تبين مدى تعلقها بابنها واعتقادها أن أن الزوجة ستأخذ مكانها عند ابنها، أما الزوجة فهي بحاجة إلى رجل يرعاها، ولما كان الابن يميل إلى زوجته عاطفيا من جهة، وإلى الاستقرار من جهة أخرى، كان العداء يقوم بين الكنة والحماة، التي تلجأ في كثير من الأحيان إلى الإساءة لزوجة ابنها التي تكون

[1] ينظر، عبد الحميد بورايو، حكايات شعبية جزائرية حول المرأة، ص31-41.

[2] ينظر، بوعزة طيبي، الحكاية الشعبية في الجزائر، تحليل مورفولوجي لحكاية "ودعة مشتة السبعة"، ص89

[3] ليلى أمال حيرش بغداد، فايزة اسعد زرهوني، صورة المرأة في الأمثال الشعبية المستغانمية، ص4

[4] ينظر، سميحة شفرور، الحكاية الخرافية الشعبية في منطقة تبسة-جمع ودراسة، رسالة ماجستير (تخصص الأدب الشعبي)، ص70.

[5] ليلى أمال حيرش بغداد، فايزة اسعد زرهوني، صورة المرأة في الأمثال الشعبية المستغانمية، ص4.

تحت سيطرتها، أو من الكنة التي لا تسمع كلام حماتها ولا نصائحها المفيدة، وقد ركزت الحكايات الشعبية على العلاقة بين الكنة والحماة، ومثالا عن ذلك حكاية "**عقاب الأم**" التي صورت مدى غيرة الحماة من كناتها «فكانت تكلفهن بشتى الأعمال الشاقة بينما تقضي هي الوقت في التسبيح، وبعد وفاة زوجها استحوذت على الإرث لنفسها وأصبحت تهتم أكثر بزينتها وتعتني بلباسها وتتكحل مما أثار الشك في نفس أبنائها الذين دبروا لها خطة فيما بعد وعرفوا مكان الثروة التي كانت قد دستها لنفسها رغبة منها في الزواج من جديد»[1]

كما تصور حكاية "**العجوز والكنة**" معاملة الحماة القاسية للكنة الطيبة، فقد كانت تسيء إليها وتتركها من دون طعام وتوصيها قائلة: "المطبق ما تفركتيه، والمغلوق ما تفتحيه، والمعلق ما تهبطيه، والمخبي ما تجبديه"حتى تغير حال الكنة المسكينة وانطفأ بريق عينيها، وفقدت الرغبة في كل شيء إلى أن أحس زوجها بحالها واشتكى لصديقه الذي نبهه لخطة كشفت أمر معاملة أمه لزوجته.[2]

إلا أنه ليس دوما تكون الكنة طيبة وتسكت عن حقها، فمنهن من ترد حقها أو تكون سليطة اللسان، ومن الحكايات العريقة التي ورثتها العائلات الجزائرية عن هذا النوع من الزوجات حكاية "القع والبع" من التراث الشفهي العاصمي، والتي تحكي عن ابنة أحد أثرياء متيجة بريف وادي الرمان كانت مدللة جدا، تزوجت في أحد بيوت القصبة العريقة، فاستاءت حماتها من دلالها الزائد، واضطرت لمواجهتها ولأن هذه العروس كانت سليطة اللسان لم تتعود على معاملة السوء ردت على حماتها بكلمات فيها نوع من التحدي تقول: "أنا بنت القع والبع والخلخال مربع، والخاتم فالصبع، كيطيح يقربع والتاج فوق الرأس مصنع، والهدرة والمشية بالطبع، بنت الحسب والنسب والشعر فالسماء مقلب، واليد معمرة بالفضة والذهب، بنت الشأن والمرجان في لباسها يظهر البرهان، وفي كلامها تسمع أوزان، وزينها لجميع الناس يبان"، لترد عليها حماتها بكلام آخر موزون كله أمثال تقول فيه: "حنا بنات الضيق والترتيق والخير مرمي فالطريق، والقلب يتسع للحباب وما يضيق، واللي غرسلنا لخديوجة نغرسولو الياسمينة، واللي رمانا بالسم يعيش ديما في غبينة، بنات الأسياد يبقاو لالات والباقي يبقاو تابعات يا لوكان يلبسوهم الفضة وذهب الزمان عمرهم ما يلحقوا بنات سيدي عبد الرحمان"[3] والمقصود ببنت القع والبع أي؛ الأرض والمواشي، التي تعتبر رمز للثراء عند سكان الأرياف، وليس كما يعتقد أنه يقصد به بنت المدينة، حتى شاع هذا المثل وأصبح يردد للتعبير عن أناقة وكرم بنات العاصمة.

ومن النتائج السلبية التي تشهدها العائلات الجزائرية بسبب هذه الصراعات أن الكثير من العلاقات الزوجية تنتهي بالفشل، خاصة في حال تأخر الكنة في الإنجاب نجد أن الكثير من الحموات هداهن الله يلصقن السبب دوما بالعروس، ومن الحكايات الشعبية التي خلدها التراث الشفوي وامتد صداها خارج الجزائر حكاية امرأة من ولاية سطيف في الشرق الجزائري طال زواجها ولم ترزق بأولاد، وكان زوجها متمسكا بها إلا أن أهله كانوا يضغطون عليه، وفي غيابها تزوج عليها فقررت عدم الرجوع إليه رغم إلحاحه الشديد

[1] ينظر، عبد الحميد بورايو، حكايات شعبية جزائرية حول المرأة، ص78-81.

[2] الراوي الجزائري، حكاية العجوز والكنة، www.youtube.com/@rawijazairi 2021/11/29، 2023/04/04- 23:43.

[3] أحلام فايدي، حكايات زمان مع بنت السلطان، www.youtube.com/@bent-sultan09 (2022/12/21)، 2023/04/05، 22:30.

مرات ومرات، فأنشدت تقول بكلمات شديدة المرارة ترثي قصة حبها في أسبوع (وهي المدة التي تحضر فيها مراسيم الزواج) شبيهة بالمقدمات الطللية في الشعر العربي: وعلاش نلوم..... يا محلا العشرة لوكان دوم...[1]

6.3 صورة المرأة الضرة:

يقول المثل الجزائري:" الضرّة مُرّة"[2] ومعناه أن حياة المرأة تتحول إلى مرارة بمجرد أن يأتي لها زوجها بزوجة ثانية لذا فصورة الضرائر في أغلب الحكايات الشعبية الجزائرية صورة قائمة على الصراع والاستحواذ على الزوج، فالمرأة يطغى على قلبها شعور الغيرة لا تتحمل امرأة أخرى تشاركها حياتها الزوجية، وإن أجبرت على ذلك فإنها ستحقد وتكيد وتدبر المصائب لضرتها سواء بالأذية المعنوية (سحرا وحسدا) أو بالعنف اللفظي وحتى الجسدي، وغالبا ما يكون الاضطهاد على الزوجة الجديدة التي تكون محبوبة أكثر من قبل الزوج، وهذا يظهر جليا في حكاية "**دلالة**" التي تصور لنا مدى حقد الزوجتين الأوليتين على دلّالة (الزوجة الجديدة الجميلة) حيث حولتاها إلى حجر من الملح على يد الساحرة وألقتا بها في قاع الحاسي (البئر) تقول الحكاية الشعبية: «... غير أن المرأتين الحقودتين دبرتا لها خدعة واتفقتا مع عجوز ساحرة فحولتاها إلى حجر من ملح قامت المرأة برميه في الحاسي، وجمعتا ثيابا ممزقة وربطتاها حول عصا وقامتا بإلباسها كفنا، وادّعتا بأنها ماتت!...ثم قاموا بدفن الخرق المكفنة في المقبرة ولما عاد السلطان من رحلته ادعتا بأنها مرضت وتوفيت فطفق يبكي عليها قالتا له:" هذا قدر من الله وما علينا سوى الصبر»[3] وفي هذا مثال للمكر والحيلة اللذين تتمتع بهما الزوجتين في سبيل التخلص من الزوجة الجديدة دلالة.

وفي حكاية "**شمسة وغلام الليل**" من شدة الغيرة كادت الضرائر للزوجة السابعة حين تحقق وعدها بإنجاب ولدين قرونهما من فضة وذهب، فعملت الضرائر بمساعدة العجوز ستوت على التخلص من الطفلين في البحر دون علم والديهما وإخبار الملك أن زوجته قد أنجبت حيوانين ليقوم هذا الأخير بمعاقبة الزوجة المسكينة ويرغمها على العيش مع الحيوانات.[4]

أما "**لونجة**" التي فرت من كيد أخيها الذي قرر الزواج منها وتزوجت ابن السلطان الذي كان له سبع نساء اتفقن في غيابه إلى الحج على أن يتخلصن من الزوجة الجديدة برميها في البئر الذي كان يوجد داخله ثعبان ولكنه لم يلتهمها بل اتخذ من حجرها ملجأ له، ولما عاد السلطان وسأل عن زوجته قالت له النسوة: لقد اتضح أنها غولية فرميناها في البئر.[5]

7.3 صورة المرأة العجوز:

تتميز العجوز سواء كان رجلا أو امرأة بتجارب حياتية غنية، وهذا بدوره يصقل شخصيتها ويمنحها الحكمة وسداد الرأي والحنكة والذكاء، إلا أن الحكايات الشعبية تفضل شخصية العجوز المرأة لاكتناز شخصيتها وقابليتها للتشكيل الفني، وكذا قدرتها على

---

[1] محمد فاسي، الجزائر العاصمة، 23سنة، 2023/04/05، 15:05 (صحفي)، مقابلة على مواقع التواصل.

[2] ليلى أمال حيرش بغداد، فايزة اسعد زرهوني، صورة المرأة في الأمثال الشعبية المستغانمية، ص4.

[3] عبد الحميد بورايو، دور المرأة في الحكاية الشعبية الجزائرية، فنك للكتب، دار الوطن اليوم، سطيف- الجزائر، 2019، ص 44-45.

[4] ينظر، مريم برباش، الحكاية الشعبية في منطقة المسيلة-دراسة ميدانية- رسالة ماجستير (قسم اللغة العربية وآدابها، تخصص أدب عربي فرع أدب جزائري حديث) جامعة محمد بوضياف- المسيلة- الجزائر، 2011-2012، ص 154-160.

[5] ينظر، عبد الحميد بورايو، دور المرأة في الحكاية الشعبية الجزائرية، ص 48-51.

التلون في الأدوار، فهي تفعل الفعل ونقيضه، وتنطق بالحكمة والهرطقة، وتقوم بالتصرف الحسن والقبيح من غير أن يكون ذلك شذوذا في شخصيتها. وكثيرا ما توظف العجوز أو تستخدم في الحكايات الشعبية الجزائرية كوسيلة لتغطية مشكلة أو لدفع حركة الأحداث إلى الأمام، ولا تطل برأسها في الغالب إلا حينما تكون مشكلة أو مأزق تتعرض له إحدى شخصيات الحكاية فهي تقدم النصائح والإرشادات للشباب حديثي التجربة، حيث يُنظر إلى العجوز في المجتمع الجزائري بأنها امرأة مسنة تركت لهو الدنيا وتفرغت للعبادة، فيعتقد الكثيرون أن دعوتها مستجابة ووجودها في البيت بركة، وذلك لأن جيل الماضي كانت تغلب عليه النية الطيبة فيعملون على زرع الخير رغم جهلهم وقلة تعلمهم ويظهر ذلك حتى في طرق عبادتهم، ومن الحكايات الشعبية الجزائرية التي صورت نية العجوز وصدقها في عبادتها ودعواتها حكاية عجوز تدعى ميمونة «كانت تصلي بطريقة خاصة تسجد ثم ترفع يديها وتقول: "ميمونة تعرف ربي، وربي يعرف ميمونة"، وذات مرة رآها عابر سبيل فقال لها بأن هذه الطريقة خاطئة وعلمها ومشى في سبيله، غير أنها نست طريقتها والصلاة الصحيحة التي علمها إياها، فأخذت تدعو عليه قائلة: "الله ينسيك طريقك كما نسيتني صلاتي، وبالفعل ضل الرجل طريقه، ورجع إليها، وذكرها بطريقتها قائلا: "ميمونة تعرف ربي وربي يعرف ميمونة"»[1]

كما تظهر من ناحية أخرى بصورة سلبية فهي امرأة شريرة سلبت منها الأيام قدرتها الجسدية فانتقلت إلى قدراتها العقلية بكل مكر فتسخّر مواهبها لتحقيق أهداف شخصية أو لإدخال الفتنة بين القوم ونجدها في الحكايات الشعبية يطلق عليها تسمية "ستوت"حيث توصف أنها تفوق الشيطان مكرا ودهاء تزرع الفتنة والتفرقة بين الناس ومن الحكايات التي شاعت في الأوساط الشعبية القصة التي تروي: «أن الستوت تشاطرت مع الشيطان في تفرقة أحد الزوجين كانا يعيشان بكل حب وانسجام لم يستطع إدخال الفتنة بينهما، أما هي فلم يصعب عليها الأمر وبدهاء ماكر استطاعت إدخال الشك في قلب الزوج والتفريق بينهما، وبين عائلتيهما ورحلت»[2]

وفي حكاية "شمسة وغلام الليل" مثلت نفس الصورة باتحادها مع زوجات الملك وإبعاد توأم الزوجة السابعة... لتعود مرة أخرى وتحاول التحايل على الولدين للاستحواذ على قصرهما، إلا انها في هذه المرة تقع في الحفرة التي حفرتها بنفسها، حين كُشف أمرها من طرف الجازية الذكية.[3]

تقع المرأة الشريرة دوما في شر أفعالها، إذ رغم ما تدعيه من مكر وحيلة ومكائد إلا أنها تقع نتيجة قبح أعمالها، فيتحول دهاؤها إلى غباء، وكيدها إلى بلاء يعود عليها كما حدث مع زوجات الآباء في كل مرة، ومع زوجات الإخوة، ومع الأخوات والضرائر الغيورات.

[1] أحلام فايدي، حكايات زمان مع بنت السلطان، www.youtube.com/@bent-sultan09 (2022/12/07)، 2023/04/05، 23:30.

[2] ينظر، نور الأمل، قصة الستوت، منتديات طموحنا، بتاريخ 2013/06/03 www.tomohna.net (2022/12/22- 17:12)

[3] ينظر، مريم برباش، الحكاية الشعبية في منطقة المسيلة، ص 154-160

4. استنتاج:

– توصلنا من خلال هذه الدراسة أن الحكاية الشعبية تحث على القيم الإنسانية من خلال المعاملة السيئة لزوجات الأب، وتقديم دعوة غير مباشرة لرعاية الأيتام وحسن معاملتهم، وهي من الأمور التي دعا إليها ديننا الحنيف، إضافة إلى الحث على عدم التفرقة بين الأبناء من قبل الآباء، والتأكيد على دور الأم ومكانتها العظيمة في الأسرة والمجتمع.

– المرأة الجزائرية تتقمص مجموعة من الصور الجميلة والقبيحة، تطابق تلك الصور المتواجدة بالحكايات الخيالية كون الحكاية الشعبية فن من فنون الأدب الشعبي الذي يعد وعاء يحفظ تجارب وواقع الحياة الشعبية.

5. خاتمة:

تعد الحكاية الشعبية في الجزائر لحمة تاريخية مغترفة من عبق ماض عريق خطته أحداث أسلافنا في سجلات فائضة المضامين الاجتماعية والسياسية والعقائدية الدينية والنفسية، تعبر عن عادات وطرق حياة المجتمع الجزائري عبر مغامرات يخوضها البطل، وشخصيات خيرة، وأخرى شريرة، تتسم خواتيمها بنهايات تكتنفها بوتقة من العبر الناصحة والواعظة، ليتعظ المتلقي ويعتبِر من تجارب السلف، كما وظفت هذه الحكايات شخصيات متعددة ومتنوعة قامت بأدوار جليلة داخل الحكاية والتي كانت انعكاسا لدورها في المجتمع الحقيقي، فالمرأة كما سبق وأشرنا في هذا المقال تعتبر الركيزة الأساسية التي تقوم عليها الأسرة والمجتمع ككل، وعند استقراءنا لمجموعة الصور التي عكفنا على كشفها من خلال النماذج المختارة نجد أنها مستقاة من الحياة اليومية للمجتمع العربي ككل والجزائري على وجه الخصوص، وكان لابد من وقفة لتلخيص أبرز ما عرض فيها من قضايا وصور ونتائج خلصنا إليها متمثلة في النقاط التالية:

– يعتبر الموروث الشعبي أدق وأصدق من أي دراسات مدونة سوسيولوجية أو أنثربولوجية في رسم الحياة الاجتماعية، فهو خلاصة تجاربها وفضاء أفقها وتطلعاتها.

– الحكاية الشعبية جزء من التراث الجزائري، تسعى لعرض واقع حياة أفراد الشعب من عادات وتقاليد طقوسية، وكذا كلامية كالأغاني والموسيقى الشعبية والأمثال... والنماذج المختارة من الحكايات الجزائرية بمثابة الدليل على ذلك، مثلت فيها المرأة دور البطولة.

– خلد التراث الشعبي الشفهي حكايات ممتعة بقيت إلى يومنا هذا تشهد لها بعض المعالم والأماكن، وهو دليل على استحالة نسيانها في الأوساط الشعبية التي من طبيعتها توارث الحكايات الشعبية في مجالس المسامرة الممتعة.

– صورت لنا الحكايات الشعبية الأدوار التي قامت بها المرأة في المجتمع الجزائري، فهي الأخت التي تحافظ على شرف العائلة أو الابنة التي تجعل والديها فخورين بها، أو الزوجة التي يتقلب مزاجها بين امرأة حنونة وأخرى شريرة، وقد تكون الأم الحنون العطوف على عائلتها التي تتغاضى عن الأخطاء التي يرتكبها أبناؤها...

– تتملك المرأة مشاعر وأحاسيس خارجة عن إرادتها ولا يمكنها التحكم فيها، فالغيرة التي تتملكها شعور خارج عن نطاقها، فهي بلا وعي تحاول أن يكون كل من تحبهم مركزين اهتمامهم عليها ولا يحبون غيرها لهذا نجدها تحقد وتدبر الحيل والمكائد للاستحواذ على كل عزيز عليها.

6. قائمة المصادر والمراجع:

1. أحلام فايدي، حكايات زمان مع بنت السلطان، www.youtube.com/@bent-sultan09 .
2. أسماء يعقوبي، عين البيضاء (ولاية أم البواقي)، 30سنة، (ربة بيت)، 2023/04/02، 22:40.
3. أمال عيساوي، عائلات تحتفل بمواليدها الجدد على طريقة الأعراس، جريدة المشوار السياسي، 2014/09/12، www.djazairess.com 2023/04/04، 13:45.
4. بهيجة بن عمار، صورة المرأة في النكتة الشعبية الجزائرية-منطقة تلمسان أنموذجا (رسالة ماجستير) قسم التاريخ وعلم الآثار-شعبة الثقافة الشعبية، جامعة أبي بكر بلقايد-تلمسان-الجزائر، 2011-2012.
5. بوعزة طيبي، الحكاية الشعبية في الجزائر، تحليل مورفولوجي لحكاية "ودعة مشتة السبعة" مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، مركز جيل البحث، مج4، ع 34، أكتوبر 2017.
6. الراوي الجزائري، حكاية العجوز والكنة، www.youtube.com/@rawijazairi 2022/12/05، 2023/04/04- 23:43.
7. رشيد وديجي، الحكاية الشعبية في البنية و الدلالة، الثقافة الشعبية للدراسات والبحوث والنشر، البحرين، مج11، ع 40، 2018/01/31 .
8. سميحة شفرور، الحكاية الخرافية الشعبية في منطقة تبسة-جمع ودراسة، رسالة ماجستير (تخصص الأدب الشعبي)، جامعة منتوري- قسنطينة- الجزائر، 2008-2009.
9. عبد الحميد بورايو، حكايات شعبية جزائرية حول المرأة، فنك للكتب، دار الوطن اليوم، سطيف (الجزائر)، 2019.
10. عبد الحميد بورايو، دور المرأة في الحكاية الشعبية الجزائرية، فنك للكتب، دار الوطن اليوم، سطيف- الجزائر، 2019.
11. عبد الله عزيز توفيق، الحكاية الشعبية، دار زهران للنشر والتوزيع، ط1، المملكة الهاشمية الأردنية، 2012.
12. علي محمد احمد العبيدي، الحكاية الشعبية الموصلية بين وحدة التجنيس وتعدد الأنماط، مجلة دراسات موصلية، ع26، شعبان- أوت، 1430-2009.
13. فاطمة بورغدة، عزابة (سكيكدة)، 92سنة، (ربة بيت)، 2023/04/01، 21:00.
14. فاطمة زهرة قاسم، صورة المرأة في الحكاية الشعبية لمنطقة وهران، دراسة سيميائية، رسالة ماجستير (الأدب الشعبي)، جامعة أحمد بن بلة-وهران، الجزائر، 2012-2013.
15. ليلى أمال حيرش بغداد، فايزة اسعد زرهوني، صورة المرأة في الأمثال الشعبية المستغانمية، مجلة الحوار الثقافي، مج6، ع1، 2017/03/15.
16. محمد دوابشة وإيمان فشافشة، المرأة في الحكاية الشعبية الفلسطينية، مجلة الجامعة العربية الأمريكية للبحوث، جنين، مج1، ع1، 2014/01/01.
17. محمد فاسي، الجزائر العاصمة، 23سنة، (صحفي) 2023/04/05، 15:05.
18. مريم برباش، الحكاية الشعبية في منطقة المسيلة-دراسة ميدانية- رسالة ماجستير (قسم اللغة العربية وآدابها، تخصص أدب عربي فرع أدب جزائري حديث) جامعة محمد بوضياف-المسيلة- الجزائر، 2011-2012.
19. نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار المعارف، ط3، القاهرة-مصر، 1981.
20. نور الأمل، قصة الستوت، منتديات طموحنا، بتاريخ 2013/06/03 www.tomohna.net (2022/12/22- 17:12)
21. وصال عمر، الجزائر العاصمة، 22 سنة، (طالبة بالمدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية)، 2022/04/05، 22:31.
22. يوسف محمد نجم، فن القصة، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، دط، 1955.